سولت له نفسه ذلك فاقر بالعجز مع كونه من فرسان البلاغة ومنهم من اتى بما فضح به نفسه عند ابناء جنسه
كما لا يخفى على من الم بالتواريخ الباقية ثم نعت ثان للمعجزة فان القرآن معجزة وصف له باق على طول الزمان
الذي هو خبر ثان عن ضمير القرآن فان من اوصافه انه الذي اعيا كل بليغ بجزالته وغرابة اسلوبه وبلاغته
والجزالة يقابلها الركاكة فليس في لفظه لفظ ركيك وغرابة اسلوبه هو انه يخالف المعهود من اساليب
كلام العرب اذ لم يعهد في كلامهم كون المقاطع مثل يعلمون ويفعلون والمطالع على مثل يا ايها الناس
يا ايها المزمل الحاقة ما الحاقة عم يتساءلون واما بلاغته فنظمه بالغ فيها الحد الخارج عن طوق
البشر وان امكن بالنسبة الى قدرة الباري سبحانه ما هو فوق ذلك كما صرح به في شرح المقاصد لان
مقدوراته لا تتناهى واكتفى المص بوصفه بالبلاغة عن وصفه بالفصاحة معها لاندراج مفهومها
في مفهوم البلاغة اصطلاحا لا بالاولى اي ولبيان اعجازه بالجزالة وغرابة الاسلوب فقط دون
البلاغة كقول القاضي ابي بكر بن الطيب الباقلاني ولا لاعجازه بالصرف اي صرف همم المتحدين عن
التوجه الى معارضته وسلبهم القدرة على مثله عند قصد ذلك خلافا للمرتضى من الشيعة وغيره كالنظام
وكثير من المعتزلة والاآي والابكي ماذكرنا بان كان ما ذكروه من ان اعجازه بالصرف كان الانسب
على قولهم ترك بلاغته فانه اذا كان غير بليغ لم يقدروا على معارضته كان اظهر في خرق العادة به
ولان القول بالصرف ينافي المقول المنقول عن من كان يسمعه من البلغاء من طربهم لبلاغته وحسن
نظمه وتعجبهم من سلامته مع جزالته ومن وصفهم اياه بما يدل على ذلك وقد فصل صاحب الشفا
بعض ذلك واما الامر الثالث وهو حاله صلى الله عليه وسلم فهما اي مفهوما اشتمل عليه من الآداب
الكريمة والاخلاق الشريفة التي لو اكتفي العمر بالبناء للمفعول في تهذيب النفس لم يحصل لمن افنى عمره في
التهذيب كذلك اي كما حصلت له عليه السلام وتلك الاخلاق هي ما روي من سماته الشريفة بالاسانيد
الصحيحة التي في كل منها اخبار احاد متعددة يفيد مجموعها تواتر القدر المشترك بينها وهو ثبوت ذلك الخلق
له عليه السلام كالحلم وهو كما في الشفا حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات وتمام التواضع منه عليه السلام
للضعفاء بعد تمام رفعته وتمام انقياد الخلق له والصبر وهو حبس النفس عن حلول ما يكره والعفو

وهو

وهو ترك المؤاخذة بالذنب مع الاقتدار وقوله عن المسيء اليه متعلق بالعفو ومقابلة السيئة
بالحسنة والجود وقد مر تفسيره وفي صحيح البخاري عن ابن عباس كان النبي عليه السلام اجود بالخير وكان
اجود ما يكون في رمضان الحديث وفيه عن جابر ما سئل النبي عليه السلام شيئا قط فقال لا وتمام الزهد
في الدنيا وشدة الخوف من الله تعالى حتى انه ليظهر عليه اثر ذلك الخوف الشديد اذا عصفت الريح ونحو
اي نحو وقت عصف الريح من الاوقات التي يعرض فيها عوارض سماوية من الكسوف وغيره او نحو ما ذكر
من هذه الاخلاق الشريفة كالوفاء بالعهد واداء الامانة وصلة الرحم والحياء وما ينتظم في هذا السلك
فقد كان عليه السلام اعلى الخلق مقاما في كل منها ودوام فكره كما وصفه بذلك ابن ابي هالة فيما اورده القاضي
ابو الفضل عياض في الشفا بقوله كان عليه السلام متواصل الاحزان دائم الفكر ليست له راحة ومن
اراد تعرف شيء مما صدر من آثار هذه الاوصاف الشريفة منه عليه السلام فعليه بكتاب الشفا وما في
معناه من التواليف وتجديد التوبة والانابة في اليوم سبعين مرة بل اكثر ففي صحيح البخاري عن ابي هريرة
سمعت رسول الله عليه السلام يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة
وفي صحيح مسلم عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله عليه السلام يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب
اليه في اليوم مائة مرة وروى ابو داود والترمذي وصححه ابن ماجه عن ابن عمر قال كنا نعد لرسول الله
عليه السلام في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم ولما كانت التوبة والاستغفار
يقتضيان الذنب وهو عليه السلام في المرتبة العليا من العصمة بين المص معنى التوبة والاستغفار في حقه
عليه السلام حاصله انهما ليسا عن ذنب وانما توبته الرجوع الى مولاه في ستر ما استغفره من الشكر بالنسبة
الى ما ارتقى اليه من المقامات الالهية فانه عليه افضل الصلوة والسلام كلما بدا له من جلال الله وكبريائه
قدر كان مرتقيا بذلك من كمال الى اكمل يستقصر بنظره اليه اي الى ما بدا له بما هو فيه من القيام بشكره تعالى على
تلك الانعامات العظيمة وطاعته فيرجع الى الاعتصام به تعالى ويطلب الستر لما ظهر له من قصور الشكر
وقوله والفراغ بالجر عطفا على الحلم كالمعطوفات قبله من اوصافه الشريفة الفراغ عن هوى النفس
اي ميلها الى مشتهياتها وعن حظوظها المنعوت ذلك الفراغ بانه مما لا يقع الا لمن استولت عليه

Copyright © King Saud University